



مجلة

العلوم الإنسانية المرقب

علمية محكمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Issued by Faculty of Arts -
Alkhums - Elmergib University -
Libya

تصنيف معامل التأثير العربي 2025 م (2.11)

تصنيف معامل ارسيف Arcif 2025 م (0.1261)

تصنيف الرقم الدولي (3106-0048/ISSN)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

31

العدد

الحادي

والثلاثون

سبتمبر

م2025

يعقوب بن كِلْس ودوره السياسي بين الإخشيديين والفاطميين (دراسة تحليلية)

إعداد: د. مفتاح علي الزائدي*

أ. ليلي إبراهيم نافع*

الملخص:

يتناول البحث حياة الوزير الفاطمي يعقوب بن كِلْس الذي لمع نجمه في 4/10م، فقد مثل نموذجًا للشخصية التاريخية التي استطاعت بفضل ذكائها وفطنتها تجاوز حدود هويتها الاجتماعية والدينية للوصول إلى قمة السلطة، فمن هو ابن كِلْس؟ وما السبب وراء تركه للشام وفراره إلى مصر؟ ما دوره في الدولة الإخشيدية وكيف استطاع التقرب من سلاطينها؟ ما الذي جعل يعقوب بن كِلْس يترك الشام حيث الإخشيديون ويغادر إلى مصر؟ وهل كان إسلامه مجرد تحول ديني، أم أن له أبعاد سياسية توافقت مع مصلحة الدولة الفاطمية؟ ولماذا اختار بلاد المغرب، المتواجد بها الفاطميون كملجأ له؟ وغيرها من التساؤلات التي ستتم مناقشتها والإجابة عليها من خلال هذا البحث.

كلمات مفتاحية: الوزارة - ابن كِلْس - الدولة الإخشيدية - الخلافة الفاطمية

summary:

his research explores the life of the Fatimid vizier Ya‘qub ibn Killis, whose prominence emerged in the 4th century AH (10th century CE). He represents a historical figure who, through intelligence and acumen, transcended the boundaries of his social and religious identity to reach the pinnacle of political

*قسم التاريخ، كلية الآداب/الخمس، جامعة المرقب. maalzaidi@elmergib.edu.ly

*قسم التاريخ، كلية الآداب/الخمس، جامعة المرقب labinnafe@elmergib.edu.ly

authority. The study poses several key questions: Who was Ibn Killis? What prompted his departure from al-Sham and his flight to Egypt? What role did he play in the Ikhshidid state, and how did he gain favor with its rulers? Why did he leave al-Sham, which was under the Ikhshidids, and head to Egypt? Was his conversion to Islam a purely religious transformation, or did it have political dimensions aligned with Fatimid interests? And why did he choose the Maghreb, then under Fatimid control—as his refuge? These and other questions will be examined and addressed throughout the course of this Research.

Keywords: Ministry—Ibn Killis—The Ikhshidia dynast—The Fatimid Caliphate

المقدمة:

عرف التاريخ الإسلامي الكثير من الوزراء والمسؤولين من ذوي الديانات الأخرى الذين تمكنوا من الوصول إلى المناصب العليا في الدولة الإسلامية، وقد تخصصت الدولة الفاطمية في توظيف هذه الشخصيات المتميزة، ومنحتهم المناصب الحساسة في الإدارة والسياسة، على الرغم من خلفياتهم الدينية غير الإسلامية، مما جعل الدولة الفاطمية نموذجًا فريدًا في تاريخ الحكم الإسلامي، إذ أظهرت تسامحًا دينيًا وتقبلًا للتنوع في الطبقة الحاكمة.

يُعد الوزير يعقوب بن كِلْس واحدًا من أبرز هذه الشخصيات، ويُعتبر من أكثر الوجوه تأثيرًا في تاريخ الدولة الفاطمية، وُلد يعقوب بن كِلْس في بغداد لعائلة يهودية ميسورة الحال، بدأ حياته تاجرًا، ثم انتقل إلى الشام ليصبح وزيرًا ومستشارًا ماليًا في بلاط كافور الإخشيدي، وصولًا لاعتناقه الإسلام على

المذهب الشيعي الإسماعيلي، ثم فرَّ إلى مصر لينتهي به الأمر كأول وزير رسمي للدولة الفاطمية تاركًا بصمات حضارية لا يزال بعضها موجوداً في مصر.

ينطلق البحث من إشكالية مركزية تتعلق بحدود الهوية والانتماء في التاريخ الإسلامي الوسيط، ويطرح تساؤلات حول أسباب هجرة ابن كليس من الشام إلى مصر، ودوره في الدولة الإخشيدية، دوافع إسلامه، وظروف التحاقه بالفاطميين في المغرب. كما يتناول البحث موقعه داخل النخبة الحاكمة، وتأثيره في تنظيم مؤسسات الدولة الفاطمية.

يهدف البحث إلى دراسة سيرة يعقوب بن كليس من خلال المصادر التاريخية الوسيطة وتحليل دوره الإداري والسياسي في الدولتين الإخشيدية والفاطمية وتحديد العوامل التي ساهمت في انتقاله من الشام إلى مصر، وتفسير دوافع تحوُّله الديني في سياق سياسي، كذلك تحليل موقعه داخل البنية الإدارية الفاطمية، وتقييم أثره في تنظيم مؤسسات الدولة وإبراز العلاقة بين الهوية الدينية والمكانة السياسية في التاريخ الإسلامي الوسيط.

أولاً: اسمه ونسبه:

هو يعقوب ابن يوسف ابن إبراهيم ابن هارون بن داود بن كليس البغدادي، وكنيته أبو الفرج⁽¹⁾، ولد لأسرة يهودية، وقيل: إنه من ولد السمؤال⁽²⁾ بن عاديا

(1) ابن زولاق: أبو محمد الحسن بن إبراهيم الليثي، أخبار سيبويه المصري، مطبعة النصر، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1933م، ص 74 / ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن أسعد التميمي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، 1962م، ج2، ص22/ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1968م، ج7، ص27.

(2) السمؤال بن غريص بن عاديا بن رفاعة بن الحارث الأزدي، شاعر جاهلي يهودي عربي ذو بيان وبلاغة، كان واحداً من أكثر الشعراء في وقته وكان يملك حصناً في شمال

اليهودي صاحب الحصن المعروف بالأبلق، كما يذكر بعضهم أنه من ولد هارون بن عمران أخ موسى بن عمران عليه السلام⁽¹⁾، بينما نجد ابن زولاق⁽²⁾ الذي كان معاصرًا لابن كِلْس يكتفي بالذكر "أنه كان يهوديًا ويزعم أنه من ولد هارون بن عمران أخ موسى ابن عمران" بصرف النظر عن سلسلة نسبه العائلي، فقد اتفقت المصادر على كونه يهوديًا، ولكن لماذا يدعي نسبه هذا؟ لعل مرد ذلك هو تعزيز مكانته في المحيط العربي والإسلامي في ذلك الوقت.

في سياق التاريخ الإسلامي الوسيط، لا يُفهم ادعاء يعقوب بن كِلْس نسبه إلى هارون بن عمران أو السموأل بن عاديا بوصفه تقريرًا بيولوجيًا، بل باعتباره فعلًا رمزيًا يُعبّر عن إعادة تشكيل الهوية ضمن منظومة ثقافية تُمنح فيها الأنساب التوراتية أو النبوية وزنًا أخلاقيًا وسياسيًا، هذا الادعاء كما سجّله ابن زولاق، يُعدّ استراتيجية رمزية تهدف إلى تعزيز موقعه في مجتمع عربي

الجزيرة سماه (حصن الأبلق)، عاش في النصف الأول من القرن السادس الميلادي وتوفي سنة 560هـ، ضرب بالسموأل المثل في الوفاء إذ ضحى بابنه على أن يفرط في دروع مقابل الأمانة التي استودعها عنده أمرؤ القيس وهي دروع، كانت كِنْدَة يتوارثوها ملكاً عن ملك فطلبها ملك الحيرة الحارث بن أبي شمر الغساني وألح في طلبها فلما حُجبت عنه سار إلى السموأل فلما داهم الجيش السموأل أغلق الحصن دون هدمه، فأخذ له ابن كان خارج الحصن، فخير الحارث السموأل بين دفع الدروع التي لديه أو قتل ابنه، فأختار السموأل الوفاء بالذمة، وأعطاه ورثة أمرؤ القيس، وعندها ضُرب به المثل (أوفى من السموأل)، ينظر محمد بن سلام الجمحي: أبو عبد الله محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت.).

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص27/ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى سنة 2000م، ج28، ص87.

(2) ابن زولاق، المصدر السابق، ص74.

إسلامي، حيث يُوظف النسب لا لتوثيق الأصل؛ بل لتبرير المكانة داخل السلطة، وفي هذا الإطار لا تكون الهوية جوهرًا ثابتًا، بل بناءً اجتماعيًا يُعاد إنتاجه عبر السرد السياسي والديني.

• نشأته وعائلته:

ولد يعقوب ابن كَلِّس في مدينة بغداد سنة 318هـ/930م، ونشأ بها عند باب القز⁽¹⁾ لأسرة يهودية ميسورة الحال، اهتم والده بتعليمه مختلف أصناف العلوم من أدب وكتابة وحساب وقراءة، فأكسبه ذلك نجابة وذكاء من صغره حتى غدا داهية ماکراً فطناً من رجال العلم⁽²⁾، اتخذ من التجارة مهنة له شأنه في ذلك شأن غيره من أبناء جلدته⁽³⁾، ثم ترك والده بغداد قاصداً الشام، فاستقرت أسرته بمدينة الرملة⁽⁴⁾، واشتغل يعقوب بالتجارة وجمع مالاً وفيراً حتى أصبح وكيلاً للتجار بالرملة، ثم غادرها إلى مصر مع أخيه

(1) باب القز: دار تضم عدداً من الدكاكين لصناعة الكاغد تقع في الطرف الشمالي الغربي من مدينة بغداد، وكانت قبل تأسيسها قطائع للجند يحيطها سور، وأول ذكر لخططها كان سنة 390هـ/999م، للمزيد ينظر: أحمد صالح العلي، المنسوجات والألبسة العربية في العصور الإسلامية الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 2003م، ص 95-96.

(2) ابن خلکان، المصدر السابق، ج 7، ص 27/ الصفدي، المصدر السابق، ج 28، ص 91/ الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ج 16، ص 443.

(3) ابن خلکان، المصدر السابق، ج 7، ص 27.

(4) الرملة: مدينة عظيمة في فلسطين كانت رباطاً للمسلمين وقد نُسب إليها قوم من أهل العلم، وكانت تسمى رملة فلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر يوماً، وكانت دار ملك داود وسليمان. ينظر: الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية سنة 1995م، ج 3، ص 29.

سنة 331هـ/942م⁽¹⁾، ولكن ما السبب وراء هجرته الى مصر على الرغم من مكانته التي حققها في بلاد الشام؟

تضاربت الروايات حول أسباب تركه للشام ورحيله الى مصر فبعض المؤرخين يرى أن والده هو الذي أنفذه إلى مصر لغرض توسيع أعماله التجارية بعد أن اجتمع إليه مال كثير⁽²⁾، بينما يرى آخرون⁽³⁾ أنه لما اجتمعت عنده جملة من أموال التجار كسرهما، وأخذها وهرب إلى مصر فابن القلانسي⁽⁴⁾ "اتهمه بأنه نهب أموال التجار ورأى الفرار من وجوههم"، من خلال الروايات المتقدم ذكرها عن أسباب هجره ابن كِلْس إلى مصر نرجح الرأي الأخير، وهو أن ابن كِلْس اجتمع عنده قدر كبير من الأموال التي كانت للتجار فأخذها وتوجه إلى مصر لإدراكه أنها منبع التجارة، وهناك سيتمكن من تحقيق طموحاته، وهرب إلى مصر للتمتع بفرص اقتصادية أكبر.

إن هجرة يعقوب بن كِلْس من الرملة إلى مصر تتجاوز كونه تنقلاً مكانياً، لتنسج ضمن تيارٍ أوسع من التجار وأهل الكتاب الذين جابوا الأقاليم بحثاً عن

(1) الداوداري: أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1998م، ج6، ص226 ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1930م ج4، ص158.

(2) ابن زولاق، المصدر السابق، ص44/ ابن الصيرفي: علي بن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1924م، ص16/ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1923م، ص102.

(3) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج16، ص442/ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج4، ص158/ الحنبلي: عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، 1986م، ج4، ص422.

(4) ابن القلانسي، المصدر السابق، ص26.

مواضع في دواوين السلاطين، كانت الرملة سوقاً تجارية إقليمية مهمّة، لكن نفوذ التجار فيها مرتبطٌ بوكلاء الأمراء وتوازنات القبائل، ما حدّ من إمكانات التوسع في مجال الخراج وغيرها من المهام الرسمية، أمّا مصر في عهد كافور الإخشيدي⁽¹⁾، فتحت دفتر ديوان الخراج أمام غير المسلمين، رغبةً في اقتناص خبرات أهل الذمة في تحصيل الضرائب وتنظيم الأمانات السلطانية حيث وجد ابن كلّس مكاناً لتحويل رأس ماله التجاري إلى سلطة رسمية، إذ صار بعد وصوله كاتباً في ديوان العسكر، ثم وكيلاً في ديوان الخراج، قبل أن ينال ثقة كافور ويصبح المسؤول عن توقيع أوامر الصرف، ويُعدّ للوزارة، وهكذا لم يكن انتقاله فراراً عابراً، بل خطوة محسوبة نحو الاندماج في قلب جهاز الدولة الإخشيدية، حيث وظف دهاءه التجاري ليكسب موقعاً مركزاً في سلم المراتب السلطانية، وهذا ما سنعرضه لاحقاً.

بالعودة إلى أسرته لم تذكر المصادر الكثير عن عائلته، إذ كانت أخبارها متفرقة، ولم يُعرف شيء عن والده بعد انتقال ابن كلّس إلى مصر، غير أن المؤرخين أشاروا إلى أن له شقيقان كان لهما حضور بارز في الدولة الفاطمية؛ الأول هو إبراهيم بن كلّس، الذي ولاه الخليفة المعز بالله إدارة خراج الشام سنة 364هـ/974م⁽²⁾، أما الثاني فهو سهيل بن كلّس، الذي لقي

(1) كافور الإخشيدي: وهو كافور أبو المسك الخادم الإخشيدي، (292 - 357 هـ / 905 - 968م) كان من رقيق الحبشة، اشتراه الإخشيد وتقدم عنده حتى صار من أكبر قواده، لعقله ورأيه وشجاعته، ثم صار أتابك ولده من بعده، وأصبح رابع حكام الدولة الإخشيدية في مصر والشام، بعد وفاة محمد بن طغج 346هـ/957م، للمزيد، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص521-527/ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج4، ص1.

(2) المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي، المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1991م، ص245.

مصرعه سنة 394هـ/1004م على يد الخليفة الحاكم بأمر الله⁽¹⁾، وذلك بسبب طمعه الشديد في المال، إذ يُروى أنه رفض افتداء نفسه بثلاثمائة ألف دينار رغم امتلاكه لتلك الثروة⁽²⁾.

تكشف هذه الروايات أن إخوة ابن كَلَس لم يكونوا بعيدين عن مواقع النفوذ، بل تقلدوا مناصب مهمة، الأمر الذي يعكس مكانة يعقوب نفسه عند خلفاء الدولة الفاطمية، وسعيه إلى تقريب أفراد عائلته من دوائر الحكم، كما أن قصة مقتل سهيل تبرز جانبًا آخر من واقع الحياة السياسية والاجتماعية آنذاك، حيث كان المال سببًا في تولي المناصب من جهة، وفي الهلاك من جهة أخرى، الأمر الذي يعكس هشاشة السلطة وصراعاتها الداخلية، كذلك، فإن تركيز المؤرخين على وصف طمع سهيل وحبهِ المفرط للمال يشير إلى محاولة تحميل الحدث بُعدًا أخلاقيًا، وتقديم الحادثة لا كواقعة سياسية فحسب، بل كعبرة حول عواقب الطمع والجشع.

تشير المصادر التاريخية بإيجاز إلى أبناء ابن كَلَس، إذ يُذكر أنه كان له ثلاث بنات وولد واحد، غير أن أخبارهم وردت مقتضبة دون تفاصيل عن حياتهم الخاصة، فقد زوّج ابنته الأولى من الفضل بن جعفر بن الفرات⁽³⁾ سنة 364هـ/974م، وجاء هذا الزواج في سياق سياسي هدف إلى توطيد العلاقات معه والتخلص من عداوته السابقة⁽⁴⁾، أما ابنته الثانية فقد اقترنت بالقائد

(1) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج4، ص177 وما بعدها.

(2) المقرئزي، المقفى الكبير، ص261.

(3) جعفر ابن الفرات: هو جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات بن خنزابه البغدادي، وزير الديار المصرية ابن الوزير المقتدر أبي الفتح، زمن الكافور الإخشيدي، للمزيد، ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج2، ص181.

(4) عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، دار رياض الرئيس، قبرص، الطبعة الأولى سنة 1991م، ص199.

التركي رشيق العريزي، أحد القادة البارزين في الجيش الفاطمي⁽¹⁾، الأمر الذي يعكس حرص ابن كلّس على ربط أسرته بدوائر النفوذ العسكري في الدولة، في حين ارتبط ذكر ابنته الثالثة بما تركه لها من جهاز عند وفاته سنة 380هـ/990م، حيث يورد المقرئ⁽²⁾ " ... " أن الخليفة العزيز بالله بعد وفاة وزيره ابن كلّس أمر بحفظ جهاز ابنته إلى أن زوجها"، وهو ما يدل على استمرار مكانة ابن كلّس لدى الخلفاء حتى بعد رحيله.

وتكشف هذه المصاهرات أن ابن كلّس لم ينظر إلى الزواج بوصفه علاقة اجتماعية فحسب، بل وظّفه أداة لتعزيز موقعه السياسي وترسيخ نفوذه داخل مؤسسات الدولة، فزواج ابنته الأولى من الفضل بن الفرات يعكس براعة في تحويل العداء السياسي إلى تحالف، بينما يبرز زواج ابنته الثانية من أحد قادة الجيش الدور الذي أدته المصاهرة في تأمين دعم المؤسسة العسكرية، أما رعاية الخليفة لجهاز ابنته الثالثة فتشير إلى الاحترام البالغ الذي حظي به، وإلى امتداد مكانته إلى أسرته بعد وفاته، وعليه فإن دراسة زيجات بناته تمثل مدخلاً مهماً لفهم الآليات غير الرسمية التي اعتمد عليها ابن كلّس في بناء شبكته السياسية داخل الدولة الفاطمية.

كما ذكر ابن خلكان⁽³⁾ أنه كان له ولد ذكر، وجاء ذلك في سياق ذكره لأحداث سنة 369هـ، فيقول: وفيها ولد للوزير يعقوب بن كلّس ولد ذكر فأرسل إليه العزيز مهذا من صندل مرصعا وثلاثمائة ثوب وعشرة آلاف دينار عزيزية وخمسة عشر فرسا بسروجها ولجمها منها اثنين ذهب وطيب كثير،

(1) المقرئ، الخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2005م، ج3، ص15.

(2) المقرئ، اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1949م، ج1، ص256.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص33 وما بعدها.

فكان مقدار ذلك مائة ألف دينار" لا يمكن اعتبار هذه البادرة السلطانية الفاخرة مجرد تعبير عن العرف الاجتماعي أو صورة من صور الدعم العائلي، بل هي دليل صريحاً على ما حازه يعقوب بن كَلِيس من وِدِّ وثقة لدى السلطة الفاطمية، فالعطاء السلطاني في سياق العصر الوسيط لم يقتصر على مظاهر الاحتفال بالمناسبات الخاصة، وإنما حمل في طياته دلالات سياسية واضحة، تُرسم من خلالها خريطة الولاءات، وتُحدّد مكانة الأفراد في سلم النفوذ داخل الدولة، ومن هذا المنظور، فإن عطايا العزيز بالله لوزيره لم تكن مجرد هدية شخصية، بل كانت رسالة سياسية تُبرز موقع ابن كَلِيس المحوري في منظومة الحكم الفاطمي.

صعود يعقوب بن كَلِيس في بلاط كافور الإخشيدي: (بناء النفوذ والثقة):

بالعودة إلى حياته في مصر يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: كيف تمكن يعقوب من الوصول إلى الأسرة الحاكمة الإخشيدية حتى أصبح من أهم الرجال الدولة؟

كانت هجرة يعقوب بن كَلِيس إلى مصر خطوة استراتيجية بارعة، جمعت بين الطموح الاقتصادي والتطلعات السياسية، دون أن تغفل عن ترسيخ النفوذ الأسري والمكانة الرسمية، فقد أتقن فن توظيف المصاهرة والقرابة الشخصية لتعزيز موقعه داخل منظومة الحكم، ما يكشف عن فهمه العميق لبنية السلطة الفاطمية، حيث يُعدّ الولاء والخدمة امتداداً طبيعياً للعلاقات العائلية، هذا التداخل بين المصالح الشخصية والبنى السياسية لم يكن عشوائياً، بل هو نتاج وعي دقيق بطبيعة الحكم الذي يعلي من قيمة القرب الاجتماعي كمدخل للنفوذ الإداري.

وفد يعقوب إلى مصر إبان ولاية كافور الإخشيدي حاملاً معه أموالاً كثيرة استفاد منها في بعض أعماله التجارية، فمكّنه ذلك من الاتصال ببعض أفراد حاشية بلاط كافور الإخشيدي الذي عهد إليه بعمارة قصره، ثم جعله ملازماً

لبابه⁽¹⁾، ثم أصبح ابن كِلْس مهندس المباني الخاص لكافور فقد شيد له دار الفيل⁽²⁾ واستغرق منه ذلك مدة من الزمن كانت كافية ليلمس كافور خلالها مواهب يعقوب ليس في الجوانب الهندسية فقط، بل في نواحي الإدارة والمال، فيذكر أنه استغل قيامه بأعمال التجارة وجمع المعلومات الاقتصادية عن القرى ومساحاتها وغلاتها وضيعاتها وغيرها مما يخص تلك البلاد، فكان إذا سئل كافور عن شيء منها أجابة على الفور، فكان ذلك سبباً لإعجاب كافور به، فصار يستوفي الحسابات له ثم لم تنزل أحواله تتزايد مع كافور حتى صار الحجاب والأشراف يقومون له ويكرمونه، وأصدر كافور أوامره سنة 336هـ/ 948م إلى أصحاب الدواوين يأمرهم بألا يصرفوا شيئاً من المال إلا بتوقيع ابن كِلْس⁽³⁾، فما السر وراء اكتسابه ثقة كافور حتى يسلمه دواوين الدولة؟

يذكر ابن خلكان⁽⁴⁾ أن سبب حضوته عند كافور وثقته به، أن يهودياً اتصل بابن كِلْس وأخبره أن في دار أحد الأثرياء وهو (ابن البلدي) الذي توفي في الرملة عشرين ألف دينار مدفونة، فكتب إلى كافور يعلمه بذلك ويستأذنه في استخراجها، فأذن له وأنفذ معه البغال لحملها فاستخرجها ووجدها ثلاثين ألف، فحملها كلها إلى كافور فزادت مكانته عنده، كذلك اتفق أن يهودياً مات بالفرمة، ومعه أحمال من الكتان أخذها يعقوب، فوجد في بعض أحماله عشرين ألف دينار، فباع الكتان وأرسل الأموال كلها إلى كافور فاغتنب بذلك وأرسل إليه مبلغاً كبيراً من تلك الأموال مكافأة لكنه لم يأخذ منها إلا ألف درهم

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 29-30.

(2) دار الفيل: هي أحد قصور كافور، سميت بهذا الاسم لأنها كانت تضم عددًا من الفيلة، للمزيد ينظر: المقرئ، الخطط، ج2، ص334.

(3) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص 29-33.

(4) المصدر نفسه، ج7، ص30-33.

ورد الباقي⁽¹⁾، فاكْتَسَبَ بذلك ثقةَ كافور واعتقاده بأمانته، فأصبح يستشيرَه في أكثر أموره وهكذا أصبح ابن كَلِّس بمثابة وزير للمالية يتولى الإشراف على جميع مصروفات الدولة.

اسهمت تلك الوقائع مجتمعة في ترسيخ مكانة يعقوب بن كَلِّس داخل بلاط كافور الإخشيدي، إذ تجاوزت مهامه حدود الإشراف المعماري إلى أدوار أكثر حساسية في الشؤون المالية والإدارية، وبمرور الوقت، غدا يُنظر إليه بوصفه وزيراً للمالية، يتولى إدارة نفقات الدولة وتوزيع مواردها، في موقع يتطلب قدرًا عاليًا من الكفاءة والثقة، ولم يكن هذا المنصب مجرد تعيين سياسي عابر، بل تجسيدًا للثقة العميقة التي منحها له كافور، والتي مهدت لاحقًا لصعوده في الدولة الفاطمية، حيث استثمر خبرته ومكانته لتوسيع نفوذه الإداري والمالي.

سعى يعقوب بن كَلِّس إلى بلوغ أعلى المناصب السياسية في عصره، وعلى رأسها منصب الوزارة، وقد بلغ مسامعه قول كافور الإخشيدي: "لو كان مسلمًا لصح أن يكون وزيرًا"⁽²⁾، وهو تصريح كان له بالغ الأثر في نفس ابن كَلِّس، فدفعه إلى اعتناق الإسلام سرًا، مستعينًا بشيخ متقن للقرآن والنحو والسير، ليعلمه أصول الدين بعيدًا عن الأنظار، فما السبب وراء إخفائه أمر اعتناقه الإسلام؟ وما حقيقة إسلامه؟ يُعزى إخفاؤه لإسلامه في بادئ الأمر إلى رغبته في إحداث أثر مفاجئ لدى كافور والمحيطين به، بحيث يتحول إعلان الإسلام إلى حدث دعائي يعزز مكانته السياسية، أورد ابن الصيرفي⁽³⁾ "إنه نزل الجامع وصلى الغداة جماعة يوم الاثنين لثمانية عشر ليلة خلت من

(1) ابن الصيرفي، المصدر السابق، ص. 19-20/ ابن القلانسي، المصدر السابق: ص32.

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص30-33/ ابن القلانسي، المصدر السابق: ص32.

(3) ابن الصيرفي: المصدر السابق، ج28، ص21.

شعبان سنة 350هـ/961م، وأظهر إسلامه وبلغ خبره إلى كافور فسرّه ذلك وعاد من الجامع إلى دار كافور، فخلع عليه"، وقيل أيضًا أنه أسلم على يد كافور في يوم الجمعة في الجامع العتيق سنة 350هـ/960م⁽¹⁾، واختلفت الروايات حول سبب إسلامه ففريق يرى أنه أسلم لأجل مصالحه ومكاسبه الدنيوية⁽²⁾، بينما يرى فريق آخر أنه قد أسلم وحسن إسلامه⁽³⁾.

إنّ تضارب الروايات حول كيفية وحقيقة إسلام يعقوب بن كَلَس لا ينفي هذه الحقيقة؛ فابن كَلَس اعتنق الاسلام على المذهب الشيعي وظل مسلماً حتى آخر عمره فوصفه البعض بالفقيه، قال ابن خلكان⁽⁴⁾: "...كان يعقوب يجمع عنده العلماء ورتب لنفسه مجلساً في كل ليلة جمعة، يقرأ فيها بنفسه مصنفاته على الناس وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم"، وظل ابن كَلَس مسلماً حتى وفاته.

إن تحوُّله إلى الإسلام في عهد الدولة الإخشيدية، هو تحوُّل لا يمكن فصله عن السياق الإداري الذي كان يعيشه، إذ ورد عن كافور قوله: لو كان مسلماً لولّيته الوزارة، هذا التصريح يكشف عن العلاقة الوثيقة بين الانتماء الديني والشرعية الوظيفية، حيث يصبح الإسلام شرطاً للاندماج الكامل في البنية الحاكمة، ومن ثم فإن إسلام يعقوب بن كَلَس يُفهم بوصفه إعلان ولاء سياسي،

(1) النويري، المصدر السابق، ج28، ص103.

(2) ابن القلانسي، المصدر السابق، ص32/ المقريزي، الخطط، ج3، ص10/ الداوداري، المصدر السابق، ج6، ص226.

(3) ابن الصيرفي، المصدر السابق، ص21/ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 2003م، ج26، ص669/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص34.

(4) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص28-29.

لا مجرد تحول عقائدي، وليجسد ذلك مرونة الهوية وتحوّلاتها في سياقات الحكم الوسيط، حيث كانت تتشكل وفقاً لمقتضيات السلطة والمذهب، حيث يُعاد تعريف الفرد وفقاً لموقعه داخل الدولة، لا وفقاً لأصله الديني أو الاجتماعي.

والسؤال هنا لماذا اعتنق ابن كَلّس الإسلام على المذهب الشيعي؟ بالنظر إلى موقعه البارز في جهاز الدولة الإخشيدية، كان يعقوب بن كَلّس مُطَّلِعاً على أحوال مصر الداخلية، وقد أدرك مُبَكِّرًا تنامي نفوذ الدعوة الفاطمية بين عامة المصريين⁽¹⁾، لا سيما مع اتساع نشاط الدعاة الذين بنّهم الفاطميون في أرجاء البلاد لنشر مذهبهم. ومن هذا المنظور، يمكن فهم اعتناقه للإسلام على المذهب الشيعي لا بوصفه اختياراً عقائدياً صرفاً، بل هو خطوة سياسية مدروسة تضمن له القبول في ظل سلطة فاطمية آخذة في التمدد.

وإذا تأملنا بعض العقائد الشيعية، كفكرة الرجعة⁽²⁾ والوصية⁽³⁾، نجد أنها تتقاطع مع تصورات الطائفة السبئية المنسوبة إلى عبد الله بن سبأ⁽⁴⁾، الأمر

(1) الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة 2003م، ص 272.

(2) الرجعة: حيث قال: لَعَجِبُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّ عَيْسَى يَرْجِعُ، وَيَكْذِبُ بَأْنَ مُحَمَّدًا يَرْجِعُ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأَوْكَ إِلَى مَعَادٍ} [القصص: 85] فمحمّد أحقُّ بالرجوع من عيسى" ينظر: الطبري، المصدر السابق، ج4، ص330.

(3) الوصية: ادّعاء إثبات الوصية لعلي رضي الله عنه بقوله: إِنَّهُ كَانَ أَلْفَ نَبِيٍّ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ وَصِيٌّ، وَكَانَ عَلِيٌّ وَصِيَّ مُحَمَّدٍ، ثُمَّ قَالَ: مُحَمَّدٌ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَعَلِيٌّ خَاتَمُ الْأَوْصِيَاءِ، للمزيد ينظر: ابن كثير: إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية سنة 1987م. ج7، ص183.

(4) عبد الله بن سبأ يهوديا من صنعاء، وإليه تُنسب السبئية، وهو من الغلاة الرافضة، أسلم على يد علي، وسكن المدائن، وكان من أبرز عوامل الفتنة الكبرى التي حدثت بمقتل عثمان رضي الله عنه سنة 35هـ، للمزيد ينظر: الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك،

الذي قد يكون شكّل دافعاً إضافياً ليعقوب بن كَلَس، بالنظر إلى خلفيته اليهودية، لا سيما إذا كان يرى في هذه العقائد امتداداً مألوفاً أو قابلاً للتأويل ضمن منظومته الفكرية. وهكذا، يمكن قراءة اختيار يعقوب بن كَلَس للمذهب الشيعي في ضوء توازن دقيق بين الانتماء الديني والمصلحة السياسية، في سياق دولة كانت تعيد تشكيل هويتها على أسس مذهبية واضحة، وهكذا نلمس أنّ اعتناق ابن كَلَس للإسلام لم يكن مجرد تحوّل ديني فردي، بل كان انعكاساً لتقاطعات السياسة والدين والفكر في مصر الإخشيدية، الأمر الذي مهّد له الطريق إلى الارتقاء مكانةً ونفوذاً حتى صار من أبرز رجالات الدولة.

رغم ما بلغه يعقوب بن كَلَس من منزلة رفيعة في بلاط الدولة الإخشيدية، يظل السؤال قائماً: ما الذي حمله على مغادرة مصر والتوجّه إلى المغرب، حيث يقع مركز الدعوة الفاطمية؟ ولماذا أثر الانضمام إلى خصم العباسيين السياسي، بدلاً من التوجّه إلى بغداد، الأقرب جغرافياً والأكثر رسوخاً في السلطة؟ إن ما سبق من أحداث يُظهر بوضوح أن يعقوب كان يحظى بمكانة مرموقة داخل الجهاز الإخشيدي، مما يجعل اختياره اللجوء إلى المغرب الفاطمي مثار تساؤل فهل كان ذلك بدافع سياسي؟ أم أنه رأى في المشروع الفاطمي فرصة أوسع للنفوذ؟ ولماذا تجاهل خيار بغداد، رغم قربها ومكانتها؟ هذه الأسئلة تفتح الباب لفهم أعمق لدوافعه وتحولاته في سياق التنافس بين القوى الإسلامية في العصر الوسيط.

بعد إسلامه نال يعقوب بن كَلَس حظوة متزايدة لدى كافور الإخشيدي، غير أن الأخير لم يُسند إليه منصب الوزارة، إذ لم يكن المنصب شاغراً آنذاك، بل

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية سنة 1960م، ج4، ص329/ ابن عساكر: علي بن الحسن، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روجي البعلبكي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1995م، ج12، ص219.

كان يشغله جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات، الذي عُيّن وزيراً بأمر من الخليفة العباسي الراضي (322-329هـ/934-940م) وقد عزز ارتباطه الأسري بالإخشيد موقعه السياسي، إذ زوّج ابنه جعفر من ابنة الأمير الإخشيد نفسه، ومع ذلك، لم يكن هذا العامل وحده ما حال دون تولي يعقوب الوزارة؛ فقد توفي كافور سنة 357هـ/967م، أي بعد أقل من عام على دخول يعقوب الإسلام، مما أتاح الفرصة لابن الفرات كي يبسط نفوذه، إذ بادر إلى اعتقال كبار الكتّاب وأصحاب الدواوين ومصادرة أموالهم، وكان يعقوب بن كلّس أول من طاله هذا الإجراء⁽¹⁾، مدفوعاً بحقدٍ قديم يكنّه له منذ عهد كافور، ظل يعقوب في السجن إلى أن بذل أخوه مبالغ كبيرة للإفراج عنه، فخرج بوساطة مالية، بالإضافة إلى شفاعة الشريف أبي جعفر مسلم بن عبد الله الحسين العلوي، الذي تدخل لصالحه.

يعقوب بن كلّس بين الولاء الفاطمي والإدارة المالية: من الوساطة السياسية إلى الوزارة

إن اختيار يعقوب بن كلّس التوجّه إلى بلاد المغرب والانضمام إلى الدولة الفاطمية دون اللجوء إلى الخلافة العباسية في بغداد، يُعزى إلى إدراكه المبكر بأن مصر ستؤول حتماً إلى الحكم الفاطمي، فقد عاصر عن كثب سياسات كافور الإخشيدي، وفي عهده حاول الخليفة الفاطمي المعز لدين الله غزو مصر، حيث وصلت جيوشه إلى الواحات سنة 306هـ/917م، وتمكّنت من السيطرة عليها لمدة عامين وثمانية أشهر⁽²⁾، مما كشف ليعقوب جدية المشروع الفاطمي وطموحه الإقليمي، يُضاف إلى ذلك عامل مذهبي بالغ الأهمية، وهو

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص30 وما بعدها.

(2) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة سنة 1958م، ص125.

اعتناق يعقوب المذهب الشيعي الإسماعيلي، ما جعله أقرب فكرياً وعقائدياً إلى الفاطميين من العباسيين، كما لعبت شبكة علاقاته الشخصية دوراً حاسماً، لا سيما صداقته الوثيقة بالشريف العلوي أبي جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر الحسيني، الذي كان يحظى بمكانة رفيعة لدى كافور وموقع مؤثر داخل الدوائر الفاطمية، وقد ترأس الشريف الوفد الذي استقبل القائد الفاطمي جوهر الصقلي عند دخوله مصر سنة 358هـ/969م⁽¹⁾، ومن المرجح أنه أوصى يعقوب لدى الفاطميين، وأطلعهم على مهاراته الإدارية والمالية التي كان قد عاينها عن قرب.

أما عن امتناع يعقوب بن كلس عن اللجوء إلى الخلافة العباسية، فيُعزى إلى جملة الاعتبارات السياسية والعملية التي أدركها في حينها، فقد كانت تربط الخليفة العباسي الرازي علاقة وثيقة بالوزير جعفر بن الفضل بن الفرات خصم يعقوب القديم، مما جعل بغداد بيئة غير آمنة سياسياً له، كما بلغ يعقوب أنباء سيطرة بني بويه على العاصمة العباسية سنة 334هـ/945م⁽²⁾، الأمر الذي زاد من تعقيد المشهد السياسي هناك، وأضعف من مركز الخليفة العباسي، الذي بات خاضعاً لنفوذ القوى العسكرية المحلية.

وإلى جانب هذه الاعتبارات، سعى يعقوب إلى الاستعانة بقوة خارجية قادرة على دعمه في مواجهة خصومه، فاختار التوجه إلى بلاد المغرب، حيث ترسخت الدولة الفاطمية كقوة صاعدة وقد أشار ابن القلانسي⁽³⁾ أن حاشية المعز لدين الله الفاطمي كانت تضم عدداً كبيراً من اليهود في ذلك الوقت،

(1) المقرئزي: اتعاظ الحنفاء، ج1، ص102.

(2) ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1965م، ج8، ص159.

(3) القلانسي، المصدر السابق، ص32.

الأمر الذي جعلهم يرحبون بيعقوب عند وصوله، بالنظر إلى خلفيته الدينية السابقة ومهاراته الإدارية والمالية، تُظهر هذه المعطيات أن قرار يعقوب لم يكن مجرد هروب من خصومه، بل كان اختياراً استراتيجياً مدروساً، يجمع بين التحليل السياسي، والانتماء المذهبي، والاستفادة من شبكات النفوذ داخل الدولة الفاطمية.

وهنا يثور التساؤل: هل كان ليعقوب بن كِلْس دور مباشر في تمهيد الطريق أمام الفاطميين لدخول مصر؟ تذكر بعض المصادر⁽¹⁾ أن المصريين الناقمين على الحكم الإخشيدي أرسلوا مراسلات إلى المعز لدين الله بالمغرب يستحثونه على القدوم، بينما تؤكد روايات أخرى أن ابن كِلْس لعب دور الوسيط الذي قَدِّم للفاطميين صورة دقيقة عن أوضاع مصر، وكشف لهم عن مواطن الضعف في النظام الإخشيدي، الأمر الذي سهّل عملية فتحها فقد شهد ابن كِلْس بنفسه استعدادات المعز، ورافقه ضمن رجالات الدولة عند توديع القائد جوهر الصقلي ساعة انطلاقه إلى مصر سنة 358هـ/969م⁽²⁾، وعندما نقل المعز لدين الله الفاطمي عاصمه ملكه إلى مدينه القاهرة، كانت مكافأة المعز لابن كِلْس أن قلده الخراج وجميع وجوه الأموال والحسبة، وجميع ما يضاف إلى ذلك، وما يطرأ في مصر وسائر الأعمال وأشرك معه في ذلك كله عسلوج بن الحسين المغربي وكتب لهما سجلاً بذلك قُرئ على منبر جامع أحمد بن طولون يوم الجمعة⁽³⁾.

قراءة السجل تُعد إعلاناً رسمياً صادراً من ديوان الانشاء كافياً لكي يوطد سلطان ابن كِلْس الذي وصل إلى أعلى المراتب في السلطة، وصارت بيده

(1) المقرئ، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص102.

(2) القلانسي، المصدر السابق، ص32.

(3) المقرئ، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص144.

مقاليد كل الأمور المالية في الدولة، ولكن ما الغرض من وراء إشراك عسلوج بن الحسين المغربي مع يعقوب في القيام بهذه الواجبات؟ غير أنّ إشراك عسلوج بن الحسين لم يكن اعتباطاً، بل جاء في إطار سياسة اتبعتها جوهر الصقلي تقوم على إسناد الوظائف المالية والإدارية لموظف مغربي وآخر مصري في آنٍ واحد، والغاية من هذه السياسة المزدوجة تدريب العناصر المغربية على نظم الإدارة المصرية، وفي الوقت ذاته ضمان خضوع المصريين للسلطة الفاطمية، غير أن هذه التجربة لم تُعمر طويلاً، إذ سرعان ما غلب العنصر المصري في جهاز الدولة بعد أن اطمأن الفاطميون إلى ولائهم⁽¹⁾.

وبذلك يظهر أن ابن كِلْس لم يكن مجرد موظف بارز في الدولة الفاطمية، بل كان حلقة وصل أساسية بين مشروعاتها السياسي في المغرب ورهاناتها في المشرق، مستفيداً من تجربته السابقة في الدولة الإخشيدية، ومن قدرته على التكيف مع سياسات التحوّل الكبرى في العالم الإسلامي الوسيط.

ربما نتساءل عن السياسة التي اتبعتها ابن كِلْس حتى حقق ازدهاراً اقتصادياً للدولة الفاطمية وجلب المال الوفير لها؟ قام ابن كِلْس بإجراءات اقتصادية مكنته من تحصيل أكبر قدر من الربح فالمقرّبي يذكر⁽²⁾ "... أن ابن كِلْس وعسلوج جمعا من الأموال ما لم يسمع بمثله في بلد آخر، وكان هذا الاستخراج يتم بغير براءة ولا خرج ولا خواله"، ويشير هذا إلى أن سياسة ابن كِلْس الاقتصادية لم تلتزم دائماً بالشرعية الإسلامية من حيث الإجراءات التقليدية للضرائب والقبالات، لكنه استطاع بذلك إرضاء الخليفة المعز لدين الله وتعزيز الموارد المالية للدولة، وإن أدى ذلك إلى سخط دافعي الضرائب،

(1) المقرّبي، المصدر نفسه، ج1، ص145

(2) المصدر نفسه، ج1، ص145-147.

ومن إجراءاته الاقتصادية إعادة النداء على القبالات وهي أن يُعلن عن تأجيل الضياع فيتقدم إليها من يتقدم ويدخلون في المزايدة إلى أن تنتهي بتأجيرها إلى من قدم أكبر مبلغ من المال على أن تُطلق يده فيما بعد في تحصيل ما يراه من الضيعة وهذا الاجراء كان على كامل المرافق العامة وليست الضياع أورد المقريري⁽¹⁾ الأتي: "...فُيَصِّتُ ايدي سائر العمال والمتضمنين وجلس يعقوب وعسلوج في دار الامارة في جامع أحمد بن طولون للنداء على الضياع وسائر وجوهي الاموال وحضر الناس للقبالات وطُوبِلَ بالبقايا من الاموال مما على الناس من المالكين والمتقبلين واستنْقَصِيَا في الطلب..... فتوفرت الأموال."

ولم يكتفِ ابن كِلِّسْ بذلك فقط، بل رفض أن يقبل مبالغ الجبايات بالدينار الراضي (العباسي) وهي العملة المتداولة داخل مصر، بل أصر على أن يكون أداء الضرائب بالدينار المعزي، فرفع بذلك قيمة العملات المصرية التي تحمل اسم المعز، وانخفضت قيمة الدينار الراضي (العباسي) إلى الثلث، مما عرض دافعي الضرائب لخسارة كبيرة، فقد اضطرهم ذلك إلى إعادة صهرها وسكها في دار السكة، وهكذا حصلت الدولة على فروق أسعارها، أيضاً اضطروا إلى شراء الدينار المعزي بأكثر من قيمته، والحقيقة هذا عاد بالربح على الدولة الفاطمية، ويذكر أن ابن كِلِّسْ وعسلوج "...امتنعوا أن يأخذا إلا ديناراً معزيا فاتضع الدينار الراضي وانحط ونقص من صرفه أكثر من ربع دينار، فخسر الناس كثيرا من أموالهم"⁽²⁾، "كما أنه فرض جزية على كل التجار الداخلين والخارجين من مدينة تنيس"⁽³⁾.

(1) المقريري، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص148.

(2) المقريري، المصدر نفسه، ج1، ص148.

(3) ابن حوقل: أبي القاسم محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض، دار صادر، بيروت،

الطبعة الأولى سنة 1928م، ص152-153.

نتيجة لذلك، ارتفعت مكانة ابن كِلِّس عند المعز، فقد رأى ان هذه المهام لا تليق به فولاه وزارة القصر، فقد انفرد بالنظر في أمور المعز في قصره، فنقل ابن كِلِّس الدواوين إلى داره، وجعل عدة كتاب في ديوان العزيزية، وعدة أخرى لديوان الجيش وديوان للأموال يضم كتابًا وجهابذة، وغيرها من الدواوين التي جعلها في داره حتى يحكم الإشراف عليها عن قرب⁽¹⁾، استمر أمر نفوذه حتى توفي المعز لدين الله الفاطمي سنة 365هـ / 975م، وخلفه ابنه العزيز بالله، لتبدأ مرحلة جديدة في تاريخ وحياة ابن كِلِّس بتوليته الوزارة، ليكون بذلك هو أول وزير للدولة الفاطمية.

سياسة ابن كِلِّس تعكس النقاء الطموح الشخصي مع المصلحة العامة للدولة، إذ جمع بين صرامة الإدارة المالية والتقنيات الحديثة لجمع الضرائب، مع تجاوز بعض القيود التقليدية، وقد أظهرت هذه السياسات كيف يمكن للنخب الاقتصادية والإدارية أن ترفع الدولة إلى أوج القوة المالية، حتى لو أثارت استياء المواطنين، وهو نموذج واضح للسيطرة الإدارية الوسطى في الدولة الفاطمية وأثرها في بناء الدولة، والسؤال هنا هل كان فعلاً هو أول وزير للدولة الفاطمية ام سبقه غيره الى ذلك؟

إن يعقوب كان أول وزير يحمل اللقب والرتبة صراحةً ورسمياً في عهد العزيز سنة 365هـ/975م، صحيح أنه كان هناك من يتولون مهام الوزارة وسلطاتها ولكن دون التلقب بلقب وزير، فماذا عن جوهر الصقلي؟ جوهر الصقلي كان قائداً فتح مصر وظل بها لمدة أربع سنوات نائباً للخليفة المعز هناك، وكان يحمل لقب جوهر الكاتب⁽²⁾، وليس لقب الوزير، وعليه يمكن القول إن يعقوب بن كِلِّس هو أول من انتزع لقب الوزارة رسمياً، وكتب اسمه

(1) المقرئزي، الخطط، ج3، ص11.

(2) المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص148.

على الطراز في المكاتبات الرسمية للدولة الفاطمية⁽¹⁾، ما جعله أول وزير فاطمي بالمعنى الحرفي، تذكر المصادر⁽²⁾ "أن العزيز استوزره في رمضان سنة 368هـ/ 948م، وأمر بأن يكتب اسمه في جميع المراسلات وأن يبتدئ باسمه في المكاتب إلى من يكاتبه"، ومعنى هذا أن تبدأ المراسلات والمكاتبات باسم الوزير أولاً وفي هذا الإجراء تشريف كبير لابن كَلَس، فالرسائل صارت تعنون على الشكل التالي (إلى ابن كَلَس من العزيز بالله)، وقد ترتب على ذلك أن زادت مكانته فاسمه أصبح يكتب على الطراز، وأنعم عليه الخليفة بلقب الوزير الأجل، وأمر أن لا يخاطبه أحد ولا يكاتبه إلا بهذا اللقب⁽³⁾، ذكر ابن خلكان⁽⁴⁾ عن تولي يعقوب الوزارة فيقول: "ولم يزل يترقى إلى أن ولى الوزارة للعزيز نزار ابن المعز ابن كَلَس".

يمثل تتويج يعقوب بلقب الوزير الرسمي خطوة مفصلية في التاريخ الإداري للدولة الفاطمية، إذ جسدت سياسة الخليفة العزيز في تأكيد مركزية السلطة وتكريم الكفاءات المخلصة، وقد استخدم هذا التتويج كأداة لتثبيت سلطة الدولة على موظفيها وإضفاء الشرعية على المراتب الإدارية العليا، بما يعكس وعي الفاطميين بأهمية الرتب الرسمية في إدارة الدولة، كما أن كتابة اسم الوزير على الطراز في المكاتبات يشير إلى إدراكهم لأثر الرمزية الإدارية في تعزيز النفوذ والمكانة.

(1) عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1953م، ج1، ص95.

(2) ابن زولاق، المصدر السابق، ص74-75/ الصيرفي، المصدر السابق، ص21.

(3) المقرئ، الخطط، ج3، ص11.

(4) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص30 وما بعدها.

أثر ه على حضارة مصر والمجتمع المصري في عهد الدولة الفاطمية:

ترك يعقوب بن كلس بصمة واضحة على المشهد الحضاري المصري من خلال إنشاء المباني العامة والمعالم الدينية، ويظهر اهتمامه بالأمر المعمارية، في بنائه لقصر البحر وقصر الذهب وإليه تنسب الحارة المعروفة في القاهرة بالوزيرية⁽¹⁾، كما بنى منبراً جديداً لجامع عمرو بن العاص سنة 378هـ/ 988م بناءً على طلب من الخليفة العزيز بالله⁽²⁾، ولعل غرض الخليفة من ذلك هو كسب مودة الشعب المصري ذي الأغلبية السنية.

أما عن أثره الثقافي، فهو أول من فكر في جعل الأزهر معهداً للدراسة في سنة 378هـ/ 988م، حيث استأذن العزيز بالله في أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء للقراءة والدرس يحضرون مجلسه ويلازمونه، فيعقدون مجالسهم بالأزهر في كل جمعة من بعد الصلاة حتى العصر، كان عددهم خمسة وثلاثين، وقد رتب لهم العزيز أرزاقاً وجرايات شهرية، وأنشأ لهم داراً للسكن بجوار الأزهر، وأجرى عليهم ابن كلس أيضاً رزقاً من ماله الخاص⁽³⁾، كل ذلك بهدف نشر المذهب الإسماعيلي بين الناس هناك.

بالتالي، يمكن القول إن صفة الجامعة والمعاهد الدراسية العامة التي ألحقت بالأزهر يرجع الفضل في إنشائها للوزير ابن كلس،

أما عن مؤلفاته، فقد ألف كتاباً في القراءات وكتاباً في الفقه دون فيه ما سمعه من الخليفة المعز لدين الله وولده الخليفة العزيز بالله وكانت كلها

(1) الصيرفي، المصدر نفسه، ص49/ الصفدي، المصدر السابق، ج28، ص88

(2) المقرئ، الخطط، ج2، ص334/ ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج4، ص51.

(3) السعدي، عواصم الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1998م، ص90.

على المذهب الاسماعيلي وأصوله وعرف هذا المصنف بالرسالة الوزيرية، وقد الرسالة جُمع لعملها أربعين فقيها، وسميت بالوزيريه نسبةً له، وبقي أثرها حتى بعد وفاته، ففي عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله (411-427هـ/1020-1035م) أمر دعاة المذهب الإسماعيلي سنة (416هـ/1025م) بتحفيظ الناس كتاب يعقوب بن كِلِّس في مجال الفقه⁽¹⁾.

تذكر المصادر⁽²⁾ أن ابن كِلِّس كانت له مؤلفات أدبية وفقهية، وهذا يجعل سؤالاً مهماً يطرح وهو كيف استطاع ابن كِلِّس مع منصبه وأعماله الادارية أن يؤلف هذه المؤلفات التي تحتاج الى تفرغ كامل للدراسة والى قراءة عشرات المؤلفات وهذا لا يتأتى إلا لعالم وهب حياته للعلم فما تفسير ذلك؟ في ذلك العصر، كان من تمام السلطة أن يوصف الوزير بالعلم ومن ثم يروي المؤرخون كيف كان يعقد بداره مجالس علمية وأدبية دورية ينتظم في سلكها أكابر الفقهاء والأدباء والشعراء، وكان يشرف بنفسه على هذه المجالس ويغدق العطاء على روادها كما رتب في داره قوماً يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون الحديث والفقه والأدب والطب وجماعة خصصهم لتشكيل المصاحف وتنقيطها⁽³⁾.

يمكن القول إن استراتيجية ابن كِلِّس في ربط السلطة بالعلم لم تكن تهدف إلى مجرد الترف الفكري، بل كانت توظيفاً ذكياً للثقافة لتعزيز مشروع الدولة الفاطمية. فقد أسس منظومة تعليمية ومكتبية تؤمن للسلطة الفاطمية القبول الاجتماعي، وتكسبها الشرعية الفكرية لدى المصريين، خاصة مع

(¹) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29-33.

(²) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29/ حسن إبراهيم، المرجع السابق، ص229 وما بعدها.

(³) ابن الصيرفي، المصدر السابق، ص21/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29.

الأغلبية السنية، مما يعكس فهمًا عميقًا لديناميات السلطة والاعتبارات الثقافية في مصر آنذاك.

وهكذا نرى أنه برز في مجال العمارة والثقافة والعلم والفقه، فوضع بذلك أسسًا وقواعد للمذهب الفاطمي الإسماعيلي، يذكر ابن خلكان⁽¹⁾ أن دولة العزيز استقامت بتدبير ابن كِلْس، وتمكنه فيها، فاستخدم المشاركة واسقط المغاربة وانقلب أيضًا على جوهر الصقلي حتى كان جوهر يقول: "قبح الله طول هذا العمر الذي احوج لمثل هذا"، فابن كِلْس صار هو المدبر لكل أمور الدولة الفاطمية، وصاحب الكلمة الأولى فيها بعد العزيز.

سجن الوزير يعقوب بن كِلْس وتداعياته الأمنية:

في سنة 373هـ / 983م قام العزيز بسجن ابن كِلْس واستمر سجنه لمدة شهرين، فيذكر أنه "قبض العزيز بالله على الوزير يعقوب بن كِلْس وعلى الفضل بن صالح وإخوته وحمل ما في دورهم الى القصر فكان ما حمل من دار يعقوب مائة ألف دينار،... فارتجت المدينة ونهبت الاسواق وكانت الدواوين تجلس في دار الوزير فنقلوا الى القصر"⁽²⁾، وهنا نتساءل عن اسباب سجنه بعد المكانة الرفيعة التي وصل إليها؟ فلا تكاد المصادر تذكر السبب، فالنويري⁽³⁾ يكتفي بالإشارة إلى ذلك بقوله مات هفتكين⁽⁴⁾، فاتهم الوزير يعقوب بأنه دس له السم فقبض عليه.

(1) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29.

(2) المقريزي، الخطط، ج3، ص12.

(3) النويري، المصدر السابق، ج28، ص165.

(4) إن الاسباب وراء اقدام ابن كِلْس على قتل الهفتكين هي أن الأخير سيطر على دمشق، وتحالف مع القرامطة في البحرين، وانتصر على جيش الدولة الفاطمية عدة مرات حتى خرج العزيز بنفسه لقتاله، وانتصر عليه وأسر، ولكنه طلب السماح فعفا عنه العزيز وبالف في

بالنظر لما سبق ذكره ولمجريات الأحداث، يمكن القول أن السبب وراء سجنه ليس لدسّ السمّ فقط فحادثة دس السم اعتبرها العزيز تحدياً له، فكانت النقشة التي قسمت ظهر البعير، ولكن هناك عوامل أخرى نرجحها، منها زيادة نفوذ ابن كِلْس واستئنائه بالأمر وتطاوله على المغاربة وعلى بعض الشخصيات التي كانت من رجال الدولة الفاطمية، كما ذكرنا سابقاً، دفع كل ذلك العزيز للقيام بإجراء يحد فيه من سطوته وسيطرته، فالوزير صارت له أهمية كبيرة وهيبه عظيمه، بامتلاكه الأموال والقصور التي تضاهي قصر الخليفة فملأها بالحاشية وجعل فيها خزائن الكسوة والأموال والأشربة، وجعل لكل منها ناظرًا خاصًا يديرها، واتخذ حرسًا خاصًا بلغ عددهم 4,000 من العبيد والمماليك عُرفوا بالوزيريه⁽¹⁾، وغيرها من الوسائل التي كانت لا تتحقق إلا للسلطين، كما عمل على تحصين داره ودور غلمانه بالحرس والسلاح وأصبحت ناحية داره عامرة بالأسواق⁽²⁾، استغل الوشاة ذلك قائلين للخليفة: "إنه اختار من كل شيء أجوده لنفسه وأعلاه ولم يُبق منه إلا أدناه"⁽³⁾، فاجتمعت الاسباب والعوامل التي أودت بابن كِلْس إلى السجن.

لقد بلغت مكانة ابن كِلْس عند عامة الناس حدًا كبيرًا، حتى إن المقرئ ذكر في روايته أن اعتقاله أحدث اضطرابًا واسعًا في المدينة، حيث نُهبَت الأسواق وساد فراغ أمني ملحوظ، فما السبب وراء ردة فعل العامة

تسامحه وتكريمه له حتى أنه رجع إلى القاهرة وافتكين معه وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر وأنزله دارًا فاخرة، مما أغضب العامة والخاصة، ومنهم ابن كِلْس الذي خاف على مكانته منه، للمزيد، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29-33.

(1) النويري، المصدر السابق، ج28، ص159/ المقرئ، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص263/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29.

(2) المقرئ، اتعاظ الحنفاء: ج1، ص262.

(3) المصدر نفسه، ج1، ص262.

وغضبهم لسجنه؟ كان لابن كِلْس مجريات على المحتاجين وجدها الخليفة بعد سجنه، فأمر بإجرائها على مستحقها⁽¹⁾، كما كان في شهر رمضان ينصب كل يوم خِوانًا للفقهاء ووجهاء الناس والمتعفين ولجماعة غفيره من الفقراء⁽²⁾، واعتاد الجلوس بعد صلاة الفجر لسلام الناس عليه عارضين رِقايعهم من حوائج وتظلمات فيوقع الرقاع بيديه ويخاطب بنفسه الخصوم⁽³⁾، وغيرها من الأعمال التي قام بها، كل ذلك يفسر لنا السبب وراء غضب العامة عند اعتقاله، الأمر الذي جعل الخليفة يعفي عنه ويخرجه من السجن ويرجعه إلى منصبه، أورد ابن خلكان⁽⁴⁾ أنه "... أفرج عنهم بعد شهرين وأعيد موجودهم، وأعيد الوزير الى وزارته ورد إليه المائة ألف دينار التي أخذت له، وأعيد اسمه على الطراز بعد ما مُحي"، أطلق سراحه وهو محمول على الخيل وأُعيد الى الوزارة بسجل قُرئ له ووُهب العطايا والهدايا⁽⁵⁾.

مما تقدم يمكن القول إن العامل وراء الإفراج عن ابن كِلْس هو غضب العامة إضافةً إلى تعطل أمور الدولة فشعر العزيز أن عودته أمر لا بد منه، وهذا ما عبر عنه قول العزيز لابن كِلْس: "عزلت بالإغراء، ورددت بصمم الآراء⁽⁶⁾".

ظل ابن كِلْس في وزارته له الأمر والنهي حتى سنة 380هـ/990م،

(1) المقرئزي، الخطط، ج3، ص13.

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29-33.

(3) ابن الصيرفي، المصدر السابق، ص21-22/ النويري، المصدر السابق، ج28، ص103.

(4) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29-33.

(5) المقرئزي، الخطط، ج3، ص13.

(6) المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص262.

أصابه مرض واعتل علة الوفاة عندها ركب إليه العزيز ليزوره فلما جلس عنده قال له العزيز: "وددت لو إنك تُبتاع فأبتاعك بملكي أو تُفدى فأفديك بولدي، فهل من حاجة توصي بها يا يعقوب، فبكى الوزير وقبّل يد العزيز، وقال له: أما فيما يخصني فأنت أرحمى لحقي من أن استرعيك إياه وأرأف عليّ من أن أوصيك به، لكني أنصح لك فيما يتعلق بدولتك وقال له: " سالم الروم ما سالموك، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة، ولا تُثبّق على مفرج بن دغفل (1) متى عرضت لك فيه فرصة (2)، تتضح لنا هنا نوع العلاقة التي ربطت الخليفة العزيز بابن كِلَسّ وحبّه له، كذلك حرص الوزير وهو على فراش الموت على أمور الدولة وإبداء الرأي والوصية والمشورة للخليفة، فكانت وصيته عبارة عن تقييم للموقف من أعداء الخليفة في الشام ونصحه بوسيلة التعامل معهم، توفي ابن كِلَسّ سنة 990هـ، فأرسل الخليفة كفنه والحنوط الذي بلغت 380 قيمته سبعة آلاف دينار وخمسين ثوباً، وأمره أن يُدفن في قبة كان بناها لنفسه بدار الوزارة في القاهرة داخل باب النصر، وصلى عليه الخليفة ولحده بيده في القبر (3) وكان حزنه عليه شديداً فأمر أن تُغلق الدواوين أياماً لحداذه (4) وأقيمت مراسم الحزن على قبره مدة شهر (5).

(1) الفرج ابن دغفل: هو بن جراح من طيء، أمير بادية الشام في أيام الفاطميين، كان من إقطاعه الرملة بفلسطين، قبض على افتكين مولى بني بويه وسلمه للعزيز الفاطمي، فأكرمه ورفاه في دولته، ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص278.

(2) ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص29-33.

(3) القلانسي، المصدر السابق، ص32؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص33.

(4) النويري، المصدر السابق، ج28، ص166.

(5) ابن القلانسي، المصدر السابق، ص32/ النويري، المصدر السابق، ج28، ص166/

ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص22.

أما عن جملة تركته، فيذكر المؤرخين ⁽¹⁾ أن جملة ما تركه يعقوب بن كِلْس من ثروات طائلة تضمنت ضياعاً ووعياً وأواني من الذهب والجوهر والفضة والثياب والخيل والإبل والغلال وخزائن التحف ومصاحف وكتب وجواري وعبيد وغلاً ما بين أشربة وأطعمه قُومت بأربعة آلاف دينار ⁽²⁾، وقيل: إنه خلف أربعة آلاف مملوك بين أبيض وأسود، ومن ضمن ما تركه مائتا ألف دينار هي قيمة جهاز ابنته والذي أمر الخليفة العزيز بحفظه إلى أن زوّجها، ولم يتعرض العزيز لشيء مما يملكه أهله وجواريه وعلمانه ⁽³⁾.

الخلاصة:

من خلال ما تقدم ذكره يتضح لنا الدور البالغ والأثر الكبير الذي لعبه يعقوب بن كِلْس في تاريخ مصر خلال فترتي الدولة الإخشيدية والفاطمية، إذ ترك إرثاً متنوعاً تمثل في المنجزات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كان لها صدى واسع في المجتمع المصري، فقد أرسى قواعد الإدارة المالية من خلال سياساته الاقتصادية الذكية، مثل تنظيم الضياع والمرافق العامة ورفع قيمة العملة الفاطمية، وجمع الموارد بطرق مكنت الدولة من تحقيق فائض مالي كبير، رغم الانتقادات التي أثّرت حول بعض هذه الإجراءات.

أما على الصعيدين الاجتماعي والثقافي، فقد أظهر ابن كِلْس اهتماماً بالعلم والفقهاء، فجعل الأزهر معهداً للدراسة، وأنشأ مجالس علمية وأدبية دورية، ورعى كتابة المصاحف وتنقيطها، وألف مؤلفات فقهية وأدبية مثل الرسالة

⁽¹⁾ ابن القلانسي، المصدر السابق، ص32/ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، ص33.

⁽²⁾ المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص269.

⁽³⁾ ابن الصيرفي، المصدر السابق، ص23/ المقرئزي، اتعاظ الحنفاء، ج1، ص269/

المقرئزي، الخطط، ج3، ص17.

الوزيرية التي ظل أثرها باقياً حتى بعد وفاته، كما برز في مجال العمارة من خلال إنشاء قصور فخمة مثل قصر البحر وقصر الذهب وبناء منبر جديد لجامع عمرو بن العاص، ما عزز مكانته بين الخلفاء والشعب على حد سواء.

الحقيقة أن مكانة ابن كِلْس لم تكن وليدة الصدفة، بل جاءت نتيجة ذكائه وفطنته وحنكته السياسية، التي مكنته من التقدم في المجالين التجاري والمعماري حتى قربته من كافور الإخشيدي، ثم تعزيز مكانته لدى الخلفاء الفاطميين ليصبح أول وزير رسمي للدولة الفاطمية، ويحمل لقب الوزير الأجل، دليلاً على اعتراف السلطة بمكانته وأهميته.

إن إنجازاته أظهرت أن الوزير لم يكن مجرد منفذ للأوامر، بل كان مدبراً شاملاً للدولة ملماً بالأمور المالية والسياسية والاجتماعية والثقافية، وقد ترك بصمة واضحة في مسار تطور الدولة الفاطمية، وخصوصاً في الجامع الأزهر الذي أصبح مؤسسة تعليمية بارزة.

ويظل التساؤل المنهجي الذي يطرحه التاريخ: هل عرف التاريخ شخصيات أخرى كان لها نفس الأثر البالغ في سياسة الدولة كما هو الحال مع يعقوب بن كِلْس؟ فالإجابة تشير إلى أن التاريخ مليء بشخصيات استطاعت بذكائها وفطنتها أن تترك أثراً دائماً، لكن قليلاً منهم بلغ مستوى تكامل النفوذ الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي الذي حققه ابن كِلْس، مما يجعل دراسته نموذجاً فريداً لفهم السلطة والذكاء الإداري في التاريخ الوسيط.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم .

ثانياً: المصادر :

1. ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1965م.
2. ابن تغري بردي: جمال الدين يوسف، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1930م.
3. ابن حوقل: أبي القاسم محمد بن علي النصيبي، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1928م.
4. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1968م.
5. ابن زولاق: أبو محمد الحسن بن إبراهيم الليثي، أخبار سيبويه المصري، مطبعة النصر، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1933م.
6. ابن الصيرفي: علي بن منجب، الإشارة إلى من نال الوزارة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1924م.

7. ابن عساكر: علي بن الحسن، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق: روجي البعلبكي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1995م.
8. ابن كثير: إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية سنة 1987م.
9. ابن القلانسي: أبو يعلى حمزة بن أسعد التميمي، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى سنة 1962م.
10. الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية سنة 1960م.
11. الداوداري: أبو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1998م.
12. الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد،
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 2003م.
- سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة سنة 1985م.

13. الحموي: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية سنة 1995م.

14. الحنبلي: عبد الحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى سنة 1986م.

15. الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف، الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى سنة 2003م.

16. المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي،

- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1949م.
- الخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 2005م.
- المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى سنة 1991م.

17. محمد بن سلام الجمحي: أبو عبد الله محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، الطبعة الأولى (بدون تاريخ نشر).

18. النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1923م.

19. الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى سنة 2000م.

ثانيًا: المراجع

20. أحمد صالح العلي، المنسوجات والألبسة العربية في العصور الإسلامية الأولى، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، الطبعة الأولى سنة 2003م.

21. عارف تامر، تاريخ الإسماعيلية، دار رياض الريس، قبرص، الطبعة الأولى سنة 1991م.

22. عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1953م.

23. السعدي، عواصم الدولة العربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى سنة 1998م.

24. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة سنة 1958م.